

جهود الرماني (ت٣٨٤هـ) التداولية في كتابه (معاني الحروف)

أ.م.د. ايمان مطر مهدي السلطاني
كلية التربية للبنات /جامعة الكوفة

تاريخ قبول النشر: ٢٠١٦/٣/٦

تاريخ استلام البحث: ٢٠١٦/٢/١٨

المقدمة

افرزت الدراسات اللسانية الحديثة منهاجا جديدا يعنى بطرائق استعمال اللغة من ضمن مقاصد وسياقات معينة ، وكيفية تحويل الرسالة التواصلية إلى أفعال إنجازية لدى المتلقي ، وهذا المنهج يدعى بالتداولية . وترتبط التداولية بالدراسات البلاغية والنحوية ؛ فهدف البلاغة ينصب على مطابقة الكلام لمقتضى الحال ، وان يسهم الخطاب في تحقيق قوى إبلاغية إنجازية متضمنة في اساليب بلاغية ؛ كالاستفهام والترجي والتمني والامر وغيرها . أما هدف النحو فيقوم على تحقيق غرض الفائدة لدى المتلقي . والفائدة هي استيعاب المعنى وتحقيقه سلوكيا او ضمنيا لذلك ارتأت الباحثة ان تدرس التداولية في كتاب نحوي هو (معاني الحروف) للرماني(ت٣٨٤هـ) .

لقد قسمت بحثي على ثلاثة مباحث ومدخل تناولت في المدخل (كتاب(معاني الحروف))منهجه وتبويبه) منهج الكتاب وكيفية تبويب المؤلف للفصول والموضوعات . ودرست في المبحث الاول (ظواهر تداولية) بعض الظواهر التداولية في كتاب (معاني الحروف) في الافادة والغرض ، وينطوي تحت مبدأ الافادة: التعريف والتكثير والنفي والاثبات ، وينطوي الغرض على الوظائف النحوية والتداولية لكل من قصدية المتكلم وتواصل المتلقي وانجازه . وتناولت في المبحث الثاني (أفعال الكلام) القوى الانجازية التي تكمن في داخل حروف المعاني وتتحول إلى افعال كلام في سياق النص ، مثل العرض ، والتخصيص ، والتوبيخ والردع وغيرها . ودرست في المبحث الثالث (الحجاج النحوي) آليات الحجاج التواصلية وعملية الاستجابة لدى المتلقي او المخاطب ، فضلا عن تناول أنواع الحجاج المتوافرة في (معاني الحروف) من حجاج تفسيري وحجاج استقرائي وحجاج استنتاجي . وختمت البحث بخاتمة تفرز أهم الاستنتاجات التي توصل اليها البحث .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

مدخل : كتاب (معاني الحروف) ، منهجه وتبويبه

يستعمل كل باحث منهجية معينة تتسجم مع موضوع البحث او الكتاب الذي يروم تأليفه ، ونوع المادة وآلياتها واشكالياتها ، فكلما كثر الجدل حول الموضوع ، وتشعبت أنواعه ووظائفه ، وتعرض للأخذ والرد كلما اتسعت المادة الخاصة به ، وبالنتيجة تنوعت المنهجية المتبعة، والعكس صحيح. والرماني (ت ٣٨٤هـ) في كتابه (معاني الحروف) اتخذ منهجية تتلاءم مع المادة التي حاول دراستها وهي الحروف ومعانيها وبحسب طبعة الكتاب الذي حققه وخرج شواهدده ، وعلق عليه وقدم له وترجم للرماني وارخ لعصره (الدكتور عبد الفتاح اسماعيل شلبي)الصادرة عن دارمكتبة الهلال في بيروت ودار الشروق في جدة ، فإننا نجد أن الكتاب قد قسم على قسمين ، كل قسم يعتمد على مخطوطة تختلف عن الاخرى في موضوعاتها ؛ فالقسم الاول يعتمد على نسخة البديري في القدس ، والقسم الاخر يعتمد على نسخة كوبريلي باسطنبول .

وقد قسمت نسخة القدس على نوعية الحروف من ناحية عدد حروف اللفظ ؛ فقسمت إلى حروف أحادية وحروف ثنائية وحروف ثلاثية وحروف رباعية . أما نسخة اسطنبول فقد قسمت على ابواب وابتدأ بالحروف المفردة كاللام والالف والهاء والياء والنون والتاء ، ثم تطرق إلى قضايا نحوية متعددة ووجوه اعرابية للحروف والفروق اللغوية والنحوية بين الحروف التي ترتبط بصلة ما ، او تتقارب في عملها أو تؤدي وظائف متشابهة ، وغيرها.

رتبت الحروف في نسخة القدس في باب الحروف الأحادية بحسب النظام الالفبائي (الهمزة ، الباء، التاء، السين، الفاء، الكاف، اللام، الواو) ، ورتبت الحروف في الحروف الثنائية بصورة عشوائية على غير نظام محدد (أل ، أم ، أن ، أو ، أي ، لا، ما ، وا ، ها ، يا ، بل ، عن ، في ، من ، قد ، كي ، لن ، لم ، لو ، هل ، مذ) . على الرغم من ان هذه الحروف تختلف في دخولها على الاسم او الفعل أوعليهما معا ، وتختلف في عملها ، فمنها عاملة ومنها غير عاملة ، واحيانا اخرى تكون عاملة في مواضع ، وغير عاملة في مواضع اخرى^(١)، وكذا الحال مع الحروف الثلاثية (منذ ، نعم ، بلى ، ثم ، جبر ، خلا ، رب، على ، سوف ، إن ، أن ، ليت ، ألا ، إلى ، إذا ، أيا ، هيا) والحروف الرباعية (حاشى ، حتى ، كأن ، كلاً ، لولا ، لوما ، لعل ، إلا ، أما ، إما ، هلاً ، لما ، لكن) . أما نسخة إسطنبول فاتخذت المنهجية نفسها في تسلسل الموضوعات دونما ترتيب على آلية بعينها ، بل جاءت كأنها موضوعات متفرقة لا رابط بينها ، على الرغم من انها قدمت دراسة موازنة بين بعض الحروف التي ترتبط بعضها مع بعض برابط الوظيفة او العمل (الفرق بين إما وأما) ، (الفرق بين إن وأن) ، (الفرق بين أم و أو) ، (الفرق بين لو وإن) وحاول الرماني (ت ٣٨٤هـ) في نسخة اسطنبول أن يكرر في الموضوعات المدروسة في نسخة القدس (إن ، أن المخففة ، وجوه أي وجوه من ، وجوه ما ، باب اللامات ، التاءات ، لام الاضافة

، من) لكنه درسها من جوانب أخرى ، كان قد تناساها في النسخة الاولى ، وبذلك لا يعد ذلك تكرارا، بل اضافة إلى الموضوع نفسه.

وعند التمعن في آلية دراسة كل حرف نجد أنه يبدأ بتعريفه وبيان عمله إذا كان عاملا ، ومواقع دخوله واستعمالاته ووظائفه مستندا إلى أقوال النحاة مثل : الخليل ، وسيبويه ، والمازني ، والمبرد ، وعلي بن سليمان الاخفش ، وقد يعقب على رأي النحاة بالقبول أو الرفض أو الترجيح لأحد الآراء، وكان معظم ما يعتمد عليه هنا آراء سيبويه ، ويخالف الكسائي والفرء^(٢)

وعند عقده موازنة بين الحروف في نسخة اسطنبول نجده في باب (الفرق بين إن و أن) يحاول أن يفصل القول في (إن) مبتدئا بتعريفها ومواقعها ، فيقول: " اعلم أن مواضع (إن) مخالفة لمواضع (أن) ، فالإن المكسورة ثلاثة مواضع . الابتداء والحكاية بعد القول ، ودخول اللام في الخير"^(٣) ثم يفصل في هذه المواضع مستشهدا بالآيات القرآنية شارحا موضع الشاهد، ثم ينتقل إلى (أن) مستعملا الطريقة نفسها في التعريف بها ، وفي نهاية الباب يعطي خلاصة لهذا الفرق بين الحرفين ، ولكن هذه المنهجية لا تتحقق في كل الأبواب التي تحمل عنوان (الفرق...) ؛ ففي باب (الفرق بين أم و أو) يحاول أن يوازن بين الحرفين ، فهو ينتقل سريعا بينهما ، إذ يقول : "اعلم أن (أم) استفهام على معادلة الألف بمعنى أي ، أو الانقطاع عنه ، وليس كذلك (أو) لأنه لا يستفهم بها ، وإنما أصلها أن تكون لأحد الشئيين ، وإنما تجيء (أم) بعد (أو) يقول القائل : ضربت زيدا أو عمرا ، فتقول مستفهما : أزيدا ضربت أم عمرا ؟ فهذه المعادلة للالف ، كأنك قلت : أيهما ضربت ؟ فجوابه "زيد" إن كان هو المضروب ، أو "عمرو" إن كان وقع به الضرب.

ولو قلت : أزيدا ضربت أو عمرا؟ لكان جوابه "نعم" أو "لا" ؛ لأنه في تقدير : أحدهما ضربت ؟ "^(٤) ؛ فقد عرف كلا منهما وحدد عمل كل منهما ، ثم أعطى شواهد لكل حرف ليبين موضع كل منهما في الجملة وعملها ووظيفتهما .

وعندما تناول الرماني الحروف نفسها في أكثر من نسخة ، فإنه لم يكرر ما قاله في النسخة الأولى ، وإنما اضاف في النسخة الثانية ما فاته في النسخة الاولى ، فمثال ذلك حرف (أي) ؛ ففي النسخة الاولى يقدم نوعين منه ، هما : (أي) النداء و(أي) المفسرة ، ويعطي شاهدا لكل نوع^(٥) . أما في النسخة الثانية فقد أعطى وجوها سبعة ل(أي) وهي : "استفهام ، وجزاء وبمعنى الذي ، وصفة ، وحال ، ومتصرفة في الافراد والاضافات ، ومنقولة إلى معنى كم"^(٦) ثم يفصل في الشواهد لكل نوع ، ويذكر موضع الشاهد في ذلك . وبذلك فقد تجاوز ما ذكره في النسخة الاولى عن (أي) ولكن ذلك لم ينطبق على الحروف الاخرى المكررة في النسخة الثانية ؛ ففي باب (اللامات) في نسخة القدس يذكر نوعين من اللام هما اللام التي تأتي توكيدا في المبتدأ ، والتي تأتي في خبر إن توكيدا ، وقصد بذلك اللام

المفتوحة غير العاملة^(٧) ، أما في نسخة اسطنبول فقد فصل القول في النوعين معا المفتوحة والمكسورة وأنواعهما ، وقد كرر لام الابتداء واعطى الشاهد نفسه الذي ورد في نسخة القدس من دون أن يذكر لام التوكيد المذكورة في النسخة الاولى^(٨) .

وقد كانت منهجيته في ترجيح الآراء بين النحاة نابعة من مذهبه البصري ، فوجد الكثير من الاعتراضات على آراء الكوفيين في كتابه (معاني الحروف) ؛ فمن ذلك اعتراضه على رأي الكوفيين في أن تستعمل (إن) المخففة استعمال (ما) النافية في قوله : " وتكون مخففة من الثقيلة ، ويلزم خبرها اللام للفرق بينها وبين النافية ، وذلك قولك : إن زيد لِقائم ، و إن عبد الله الخارج. قال الله تعالى : " إن كل نفس لما عليها حافظ" والكوفيون يزعمون أن (إن) بمعنى "ما" واللام بمعنى إلا ، والتقدير عندهم : " ما كل نفس إلا عليها حافظ" ^(٩) . لكن " اعتراض الرماني هنا لا مسوغ له لأنه لا صلة له بما ذهب الكوفيون إليه فهي بالأصل عندهم (إن النافية) واللام بعدها بمعنى (إلا) وهذا ما ذهبوا إليه في قوله تعالى : " إن هذان لساحران " ^(١٠) .

وقد اعتمد الرماني في شواهد على " القرآن الكريم والشعر العربي ، وقد رأيتَه يستشهد بالحديث الشريف كما أورد بيتا لبعض المولدين ، وعلق على قوله بالقبح .
وتجد اشارات إلى لهجات القبائل في قلة يذكرها في معرض الحديث عن الاستعمالات المختلفة للأحرف ، كإشارات إلى لهجة هذيل ، والحرث بن كعب والتميميين والحجازيين كما يتعرض لرسم المصحف ويحتج به ^(١١) .

نخلص إلى أن الرماني قد اختار منهجية تستوعب مادته التي رام دراستها وهي معاني الحروف وبوبها على وفق رؤية توافقية يكمل احدها الآخر ؛ كما في تكرار بعض الحروف في قسمي الكتاب ، وعقده موازنة بين حرفين تربطهما علاقة الشكل أو العمل و الوظيفة ومن ثم حاول استقرار كل ما يتعلق بالحروف ومعانيها .

المبحث الأول : ظواهر تداولية

ظهر اتجاه لساني جديد يعني بالعلاقة بين الباث والمستقبل ، وما يحيط بهما من مقامات أو سياقات داخلية ، في نص لغوي أو غير لغوي ؛ لذلك تعنى التداولية بالقواعد الملائمة بين النص والسياق ، والعلاقة بين التداولية والدلالة والنحو والبلاغة ^(١٢) ، أي تدرس اللغة في استعمالها وطرائق تحقيق الأغراض التواصلية الخاصة بها ، وانجازها ^(١٣) ولما كان كل نص يمثل " تتابعا منظما أفقيا من الاشارات اللغوية التي تفهم على أنها توجيهات من مرسل معين إلى مخاطب معين ، وتترك الاشارات النصية على نحو محدد ، ويقع استيعاب النص من خلال المتلقي على اساس بيانات النص والموقف

والذاكرة " (١٤) ، فإنّ التداولية هي دراسة التواصل اللغوي بين الباث والمستقبل والعلاقة بين الجملة وسياقها الداخلي والخارجي والاحوال والمقامات التي استعملت اللغة فيها . (١٥) أما علم النحو فهو علم دراسة الجملة ، وقد دأب النحويون العرب على دراسة النحو من الجانبين : الحركات الاعرابية في الجملة وأثر تلك الحركة الاعرابية في تكوين المعنى ودرسوا الالفاظ من أفعال واسماء وحروف ومعانيها في الجملة ، ولما كانت الجملة " عبارة عن مركب من كلمتين أسندت إحداها إلى الاخرى سواء أفاد أولم يفد" (١٦) ، فإن الجملة تنقسم على قسمين : جملة مفيدة ، وجملة غير مفيدة ، وما يهنا هنا هو الجملة المفيدة التي تعرف بأنها " ما تركب من كلمتين أو أكثر ، ولها معنى مفيد مستقل" (١٧) . وبالنتيجة فإنّ التداولية والنحو يلتقيان في التواصلية والافادة ، فإن حصل التواصل بين الباث والمستقبل حصلت الإفادة من الجملة والنص ، وإن حصلت الإفادة لدى المتلقي فإنه يعني وجوب حصول التواصل بين منشاء النص أو المتكلم والمتلقي .

ومبدأ الإفادة ومراعاة الغرض صنوان لا يفترقان ، على أن " الإفادة ألصق بالمخاطب وما يجنيه من فائدة تواصلية من خطاب المتكلم ، وأما الغرض فمتعلق بالمتكلم أي بالقصد والغاية اللذين يرمي إلى تحقيقهما " (١٨) ، وتعرف الإفادة بإنها الفائدة الحاصلة لدى المخاطب من الرسالة التي يوجهها المرسل للمرسل إليه ، على أن تتضمن تلك الإفادة قصدية المتكلم (١٩)

اولا : الإفادة : وأهم ظواهرها:

١- التعريف والتكثير :

ارتبط التعريف والتكثير بعضهما ببعض ؛ إذ قاما على قيم المخالفة فالمعرفة هي : " ادراك الشيء على ما هو عليه ، وهي مسبوقه بجهل " (٢٠) .
أما النكرة فهي : " ما وضع لشيء لا يعينه " (٢١) ، فاحدهما يخالف الآخر من ناحيتي العمل والوظيفة ؛ وتؤدي المعرفة وظيفتها بنفسها أو بإضافة عليها ، وتحفظ النكرة بتجردها من كل لوازم التعريف (٢٢) واختلف النحاة في مواضع التعريف والتكثير وحالاتها ، ومواضع الجواز والوجوب في الابتداء بالنكرة أو المعرفة والاحبار عنه . وتناول الرماني (ت ٣٨٤هـ) المعرفة والنكرة في الحروف الثنائية في (أل) ، فقال في مواضع ورودها : " وأما دخولها في نحو الحسن والحسين والقاسم والحارث والضحاك والعباس ، فقال الخليل: دخلت لتجعله الشيء بعينه ، يريد أن هذه الاسماء صارت بمنزلة الصفات الغالبة " (٢٣) إن السمة الغالبة لدخول (أل) التعريف على الاسماء المتقدمة لأجل اعطائها تمييزا لشخصية معينة من شخصية أخرى تحمل الاسم نفسه ، ولكن تميز الشخصية الاولى بالاسم ، يكون بمثابة علامة دالة على الشخص المعني دون غيره ممن يحمل الاسم نفسه ، وفي ذلك تمام العملية الإبلابية والتواصلية في افادة المخاطب قصد المتكلم وأمن اللبس لديه.

وتعد النكرة " معنى يدركه العقل سريعاً لكن هذا المعنى العقلي المحض ، والمدلول الذهني المجرد غير معين ولا محدد في العالم الواقعي ... " (٢٤) ، إذ يكاد ينطبق هذا المعنى على التماثلات والمتشابهات ولا ينطبق على شيء بعينه ، أما في المعرفة " فإن الشيوخ يزول ، والابهام يختفي ، بسبب تحديد المدلول وحصره في واحد معين ... فلا ينصرف الذهن إلى غيره " (٢٥) ويقول الرماني في (أل) التعريف الزائدة ، وفي احد مواضع زيادتها : " ان تكون زيادتها لازمة ، وذلك كنحو زيادتها في الذي والتي ، والاصل ليت ، وليستا للتعريف ؛ لأنهما يتعرفان بالصلة كما يتعرف من ، وما وانما زيدت هاهنا ليكون الذي والتي على ما يجب في الصفات من إثبات ال ومن ذلك زيادتها في "الآن" ، وليس متعرفاً بها ، وانما يتعرف بأخرى ، ولذلك بني ؛ لأنه يضمن معناها " (٢٦) وضمان المعنى هو سمة تحقيق عمليه الإبلاغ للمخاطب ، وضمان عملية التواصل بين طرفي الخطاب (المرسل والمرسل إليه) ؛ فزيادة (أل) التعريف في (الذي) و(التي) هو لثبات الصفة في المعنى المتحدث عنه ، وفي ذلك تحقيق لتداولية (أل) التعريف نحوياً وتواصلية.

٢- النفي والاثبات.

يعد النفي و الاثبات من الأساليب العربية التي تستعمل في انكار الشيء واثباته ، ويرتبط كل منهما بالأسلوب الخبري من ناحيتي الصدق والكذب (٢٧) ويعرف النفي بأنه : " عبارة عن الاخبار عن ترك الفعل " (٢٨) ويعني انكار وجود الشيء او فعله وعمله ، وعدم فعالية أجزائه ، فهو انكار بالكل ، ويعرف الاثبات على أنه : " الحكم بثبوت شيء آخر " (٢٩) ، أي بوجوده وفعالته وجود فعله وعمله ، وهو اثبات لكل ما يتعلق بالشيء .

والاثبات يقتضي " مثبتاً و مثبتاً له ، نحو انك اذا قلت " ضرب زيد" أو " زيد ضارب " فقد أثبت الضرب فعلاً أو وصفاً لزيد ، وكذلك النفي يقتضي منفيًا ومنفيًا عنه فاذا قلت " ما ضرب زيد " و" ما زيد ضارب" فقد نفيت الضرب عن زيد واخرجته عن أن يكون فعلاً له . فلما كان الأمر كذلك احتيج إلى شيئين يتعلق الاثبات والنفي بهما فيكون احدهما مثبتاً والاخر مثبتاً له ، وكذلك يكون أحدهما منفيًا والاخر منفيًا عنه ، فكان ذاك الشئان المبتدأ والخبر والفعل والفاعل ، وقيل للمثبت وللنفي مسند وحديث وللمثبت له والنفي عنه مسند اليه ومحدث عنه" (٣٠).

فأي تركيب جملي يحتوي على مسند ومسند اليه ، وأي طارئ عليها من نفي أو أثبات ، فهو طارئ على عنصري الجملة (المسند والمسند) فالإثبات يكون مثبتاً ومثبتاً له من العنصرين المتقدمين ، والنفي يكون منفيًا ومنفيًا عنه من العنصرين نفسهما ؛ فالمسند هو المثبت في حالة الاثبات ، وهو المنفي في حالة النفي ، والمسند إليه هو المثبت له في حالة الاثبات ، وهو المنفي عنه في حالة النفي .

ويقول الرماني في حرف النفي (لا) غير العامل ، ويكون حرف عطف ومن وجوهه : " أن تزداد مع الواو لإزالة الاحتمال ، وذلك نحو قولك : ما قام زيد ولا عمرو ؛ وذلك أنك إذا قلت : ما قام زيد وعمرو ، احتمل انهما لم يقوما معا ولكن قاما منفردين . فإذا زدت "لا" زال هذا الاحتمال ، وصار إعلاما بأنهما لم يقوما البتة" إن زيادة "لا" مع (الواو) هو لتأكيد النفي في الجملة للطرفين المنفيين (زيد وعمرو) ، وإزالة اللبس المتضمن عن قيام الفاعلين أو عدمهما ، وتخفيف الإبلاغ للمخاطب بعملية القيام لكليهما معا ، وبذلك تتم الفائدة المتوخاة من الخطاب ، ومن زيادة (الواو) مع حرف النفي(لا) .

والنفي في المعنى المتقدم هو " اسلوب لغوي تحدده مناسبة القول " (٣٠) إذ المعنى المتوخى من الجملة لا يتحدد بعناصر الجملة نفسها فقط وإنما بالعلاقات المقامة بين عناصرها ، والسياق العام لها ، وما يكتنفه من دلالات تنصب جميعها في معنى الجملة العام .

ويقول الرماني في (ما) النافية : " أن تكون نفيًا للحال والاستقبال ، نحو قولك : ما يقوم زيد ، وما يخرج عمرو . فإن دخلت على الاسم كان للعرب فيها مذهبان : أحدهما أن ترفع الاسم وتنصب الخبر ، وهذا مذهب أهل الحجاز ، وذلك قولك : ما زيد قائمًا ، وما عبد الله خارجًا والثاني : ألا تعمل شيئًا ، وهذا مذهب بني تميم ، تقول من ذلك : ما زيد قائم ، وما عبد الله خارج . فإن قدمت الخبر أو أوجبتة ، استوت اللغتان ، وذلك قولك : ما قائم زيد ، وما زيد إلا قائم . " (٣١) . إن دخول (ما) النافية على الجملة الفعلية يكون لنفي الأحداث في الزمنين الحاضر والمستقبل ، وفي ذلك تأدية لدلالة المرسل في النفي في الزمنين المذكورين ، وتحقيق عملية التواصل مع المخاطب لكن عند دخول (ما) النافية على الاسم فإن العرب اختلفت في مذهبين بحسب لهجة كل مذهب ، ففي الأول تكون عاملة عمل (كان واخواتها) وفي الثاني تكون غير عاملة في الاسم ، ويكون عملها النفي لا غير وتتساوي اللغتان في الاستعمال عند تقديم الخبر على الاسم ، وفي ذلك تحقيق للتداولية في استعمال (ما) النافية في اللغة العربية .

ثانياً: الغرض :

ويرتبط الغرض بقصدية المرسل ويراد به " في تصور نحائنا القدامى الغاية التواصلية التي يريد المتكلم تحقيقها من الخطاب وقصده منه وعليه تكون مراعاة الغرض من الكلام في عرف اغلب النحاة قرينة تساعد في تحديد الوظيفة النحوية للكلمة وبيان دورها في التحليل النحوي للجملة " (٣٢) . فالعملية التواصلية بين المرسل والمتلقي لا تتحقق إلا بمعرفة قصدية المرسل ، وتقوم هذه القصدية على ما يختزنه المرسل من مرجعيات دينية وعقائدية وتاريخية وثقافية متنوعة ، ويشكل هذا الخزين شفرة يتلقفها ويفهمها المتلقي ، وتتم هذه الشفرة عبر الاستعمالات اللغوية المعروفة ، تتمثل " باللفظية في معناها الجزئي ، الدال على اللفظ المفرد ضمن السياق بعد ربطه بالقصد " (٣٣) ومن دون معرفة قصدية المرسل لا تتم

العملية الإبلاغية ، وتلتبس الدلالات لدى المخاطب ، وربما يصاب التعبير اللغوي بالغموض ، ولا يؤدي الكلام وظيفته التواصلية . وحاول الرماني تحقيق الغرض مع مقصدية واضحة لتحقيق الإبلاغية كما في قوله في حرف (حتى) : " ضربت القوم حتى زيدا ضربته ، فيجوز في زيد ثلاثة أوجه : النصب على وجهين :

أحدهما : أن يعطف وحتى على القوم .

والثاني : أن تنصبه بإضمار فعل يدل عليه ضربته ، وأما الرفع فعلى الابتداء وما بعده الخبر ، وأما الجر ، فبحتى ، على أن تجعل ضربته توكيدا بعد أن مضى كلامك على الجر^(٣٤) هذه الوجوه الاعرابية المتنوعة للفظ (زيد) هي لتحقيق معانٍ نحوية تنصب في تحقيق فائدة نحوية واحدة ألا وهي (ضرب القوم وضرب زيد) لكن يبقى للتعبير النحوي قوته وتأكيده من ناحية الفعلية أو الاسمية ، فالاسمية أكثر ثباتا وفعالية وديمومة من الفعلية التي تتسم بالتغير ، والحدوث ، وعدم الثبات .

ويقول الرماني في موضع آخر ، في حكم المستثنى :

" انتصب المستثنى في قولك : قام القوم إلا زيدا بأن محذوفة هي وغيرها ، والتقدير إلا أن زيدا لم يقم . وهذا تفسير اللفظ

وحكي عنه أيضا أنه قال : انتصب المستثنى لأنه شبه بالمفعول ، وهذا يقرب من قول البصريين . وإذا كان ما قبلها منفيًا ، وتم الكلام ، جاز لك فيما بعد إلا البدل والنصب ، والبدل أجود ، وذلك قولك : ما قام أحد إلا زيد ، وما مررت بأحد إلا زيد^(٣٥) فعلى الرغم من تنوع التقدير في حكم المستثنى إلا أن الحكم واحد وهو النصب في حالة الإثبات ، وفي حالة النفي تتجلى حالتان من الاعراب في النصب والبدل ، وفي كل حالات الاعراب المذكورة أنفاً قصد المتكلم تحقيق غرضه في اتمام معنى الجملة أو التركيب ، وتمام الفائدة لدى المخاطب .

نخلص مما سبق إلى أن التعريف والتكثير والنفي والإثبات من الظواهر التداولية التي توافرت في كتاب معاني الحروف للرماني ، وكانت هذه الظواهر تقصد إلى تحقيق تمام الفائدة لدى المخاطب وفي الغرض ارتبطت مقصدية المرسل في تحقيق العملية الإبلاغية والتواصلية .

المبحث الثاني : (أفعال الكلام) :

ترتبط التداولية باللغة في بعدها الوظيفي ، ويقصد بالوظيفية الجانب السلوكي للغة ، فتعنى التداولية بالمواقف العملية والواقعية المشار إليها في الخطاب مع مجموعة من العلاقات الداخلية والخارجية التي تسهم في اضاءة دلالات النص وتحقيق تداوليته^(٣٦) إذ اللغة تقوم بتحويل الصورة الذهنية السمعية للألفاظ إلى صورة واقعية نفعية و " دلالة الملفوظات تتداخل بين التقرير والاداء وترتبط مباشرة بالموقف الذي تقال فيه أو تنجز فيه "^(٣٧) ويطلق على هذا النوع من الألفاظ بأفعال الكلام ، وتعرف على

أنها : " دراسة نسقية للعلاقة بين العلامات ومؤوليها ، ويتعلق الامر بمعرفة ما يقوم به مستعملو - التأويل ، وأي فعل ينجزون باستعمالهم لبعض العلامات " (٣٨) ، أي أنها علاقة نصية بين عناصر الخطاب ثم علاقتها بالمتلقي من ناحيتي السلوك والعمل . " وتقسّم هذه الأفعال إلى الأفعال الوصفية ... هي تلك الأقوال التي تصف حالا معيناً لشيء أو شخص ، وقد أسماها النحاة العرب بالأساليب الخبرية ... الأقوال الإنجازية ... وتقابل ما يسمى في العربية الانشاء الإيقاعي ، وهي لاتصف ولا تخبر ولا تمثل وغير خاضعة لمعيار التصويب ، إنما ميزتها الأساسية أن التلفظ بها يساوي تحقيق فعل في الواقع، وهي أقوال بوجود شروط وملابسات معينة يقترب التلفظ بها بتغيير حالة الأشياء في الكون " (٣٩) . ولكن هذه الأفعال الكلامية بنوعها التي تحقق فعلاً أو تخبر بفعل تكون ثلاثة أنواع من الأفعال هي : العمل القولية ، والعمل المتضمن في القول ، أي الفعل الغرضي (الإنجاز) ، والفعل التأثيري الذي يحدث أثراً في المتلقي (٤٠) ، وهذه الأفعال جميعها بأنواعها لا تتعدى الأفعال الآتية : " أكد ، ووضع سؤالاً ، وأعطى أمراً ، ووصف ، واعتذر ، وهدد ، وترجى وتحدى ، ورفض " (٤١) .

وعند استقراء كتاب معاني الحروف نجد أن الرماني قد حاول دراسة الأفعال الكلامية على وفق معطيات الدرس التداولي ، وكما مبين في أدناه:

١- الأمر:

ويعرف بأنه " قول القائل لمن دونه ، أفعل " (٤٢) ، أي بمعنى آخر وهو " ما إذا لم يفعله المأمور به سمي المأمور به عاصياً ويكون بلفظ (افعل) و(ليفعل) " (٤٣) أي ، أن هناك تفاوتاً بين المرسل والمخاطب ، والاول منهما أمر ، والثاني مأمور ، والرسالة (الأمر) الموجهة من الأعلى إلى الأدنى هو واجب الطاعة والتفويض ، وقد حاول الرماني (ت ٣٨٤هـ) الافادة من صيغ الأمر تداولياً كما في قوله : " وأما الجازمة فلام الأمر ، وذلك نحو قولك : ليقم زيد والغالب عليها أن تدخل على فعل الغائب ، وذلك نحو قولك : لتعن بحاجتي ... وكذلك فعل المتكلمين ، نحو قولك : لنقم ، ولنخرج ... وقد يؤمر بها المخاطب : وروي ان النبي (ص) قال في بعض مغازيه : (لتأخذوا مصافكم) " (٤٤) الأمر في المثال السابق قد وجه إلى مخاطب غائب أو جماعة الغائبين أو متكلم أو جماعة المتكلمين ، وهو طلب يستلزم تنفيذه عملياً وسلوكياً ، ويلزم تنفيذ الأمر على الصورة التي يراها المرسل ، فمثلاً في : (لنقم ، ولنخرج) يتبعه القيام والخروج لجماعة الغائبين على وجه الالتزام ، والتفديد بالأمر ، وهما سلوكان عمليان حركيان يلتزمان بالأمر .

٢- النهي:

وهو خطاب من الأعلى إلى الأدنى يتضمن أمراً بالكف عن القيام بفعل ما ، وهو " ضد الأمر ، وهو قول القائل لمن دونه : لا تفعل " (٤٥) ويكون على وجه الاستعلاء والألزام (٤٦) وافاد الرماني في

تداولية النهي بحرف النهي (لا) بقوله : " أن يكون نهياً فتجزم ، وذلك نحو قولك لا تقم ، لا تخرج . والدعاء يجري مجرى النهي في الاعراب ، وذلك قولك : لا تؤاخذ ربنا ولا تسلط علينا من لا يرحمنا وكذلك الترفيه ، نحو قوله تعالى : " ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون " ...وكذلك الشفاعة ، نحو قولك لصديقك : لا تضرب غلامك ، لا تعاقبه " (٤٧) .

إن ما انتهى إليه الرماني أن النهي ظاهرة كلامية تمنع المخاطب عن أداء عمل ما ، او القيام بحدث ما ، فالأمثلة التي وردت إنما هي أمر بمنع العمل بعدما كان قائماً ، ولكن هذا النهي قد يخرج عن معناه الحقيقي إلى معانٍ أخرى كالدعاء والترفيه والشفاعة وغيرها وهذه المعاني تتضمن النهي بين طياتها وتستلزم الانجاز العملي لهذا الأمر .

٣-الاستفهام :

وهو " استعلام ما في ضمير المخاطب " (٤٨) أي معرفة ما لم يكن معروفا لدى المستفهم ، " لأن طلب الفهم إما طلب فهم المستفهم أو وقوع فهم لمن لم يفهم كأننا من كان " (٤٩) ، ويتم الاستفهام باستعمال عدد من الأدوات ، وقد تناول الرماني مجموعة من ادوات الاستفهام ، منها على سبيل المثال (هل) كما في قوله : " أن تكون استفهما عن حقيقة الخبر وجوابها نعم او لا ، وذلك هل قام زيد ، هل عمرو خارج " (٥٠)

إن أي سؤال يستفهم منه للحصول على إجابة محددة وواضحة ، والاجابة هي استجابة سلوكية للمخاطب للسؤال المطروح ، فالمثال السابق يؤكد وجوب الاجابة عن السؤال (بهل) بنعم أو لا . بل إن الاجابة تتحدد بهذين الجوابين لا غير ، والاجابة تعد انجازا لفعل الاستفهام .

٤-التمني :

وهو خطاب يوجه للحصول حالة أفضل للمرسل سواء أكان ممكناً أم مستحيلاً (٥١) ، ويتم هذا الخطاب بأداة للحصول حالة التمني ، وقد استثمر الرماني حرف (ليت) لاستحصال التمني وتداولية الخطاب فهو يقول في (ليت) : " ومعناها التمني ، تقول حين ذلك : ليت زيدا قائم ، وليت أحاك عندنا ، فتنصب الاسم ، وترفع الخبر إذا كان مفرداً فإن كان غير مفرد حكمت عليه بالرفع ... وأهل الكوفة يزعمون أن الراجز أجرى ليت مجرى وددت ؛ لأنها في معناها " (٥٢) . ان التمني بأداة "ليت" يستلزم فعلاً انجازياً أو محاولة الالتزام بما ورد في جملة التمني ، فالتمني يتضمن امكانية تحقيق الفعل ، ولكن انجازه مرتبط بالمخاطب وكيفية تلقي الكلام ومدى امكانية قيامه بتحقيق الفعل، إن تغيير الحكم النحوي بين المفرد والجمع جاء متسقا مع الاداة المستعملة في التمني .

٤-العرض والتحضيض :

يعرف العرض بأنه طلب يتم بين المرسل والمخاطب بأسلوب لين سلس ، ويتم بالأداة (ألا) ^(٥٣) ، أما التحضيض فهو خطاب يوجه للمخاطب بأسلوب فيه شدة والحاح ويتم بأداة "هلا" ^(٥٤) . والعرض والتحضيض أسلوبان طلبيان يوجهان إلى المخاطب ، ويقع على الاخير القيام بإنجاز ذلك الطلب وتحقيقه سلوكيا وعمليا .

وقد حاول الرماني الافادة من حروف المعاني في تحقيق تداوليتها ، ففي الاداة (ألا) يقول : "أن تكون عرضاً ، نحو قولك : ألا ننزل فنصيب خيراً ، ألا تقصدنا فنكرمك " ^(٥٥) ان الطلب بواسطة العرض قد تم بأداة تقدم عرضاً ونتيجة هذا العرض ؛ فمثلاً الفعل (ننزل) هو فعل العرض وفعل (نصيب خيراً) هو نتيجة العرض ويبقى المتلقي أمام العرض إما لا نجازه أو لتلقيه فقط ، لأنه تم بصورة فيها الكثير من المرونة ، لكنه يبقى متضمناً الانجاز في طياته ، ويقدر فعلاً سلوكياً للمخاطب.

ويقول الرماني في الاداة (هلا) : " وهي من الحروف الهوامل ، ومعناها التحضيض ، ولا يليها إلا الفعل مظهراً أو مضمراً لأختصاصها به ، وهي مركبة من هل ولا ، تقول من ذلك : هلاً أكرمت زيداً ، هلاً أتيت خيراً من ذلك . فإذا أضمرت الفعل قلت : هلاً زيداً ، هلاً خيراً من ذلك ، أي هلاً أكرمت زيداً ، هلاً أتيت خيراً من ذلك ، تضرع فعلاً تدلُّ عليه الحال المشاهدة ، ومن العرب من يقول : ألا أكرمت زيداً ، ألا أحسنت إلى عمرو " ^(٥٦) إن اندماج اداة التحضيض من (هل ، لا) يمنح التركيب انفتاحاً صوتياً مزدوجاً مع عمق وشدة فيه ، وهذه الدلالة الصوتية كان لها انسجام مع الغرض الذي سبقت لأجله هذه الاداة ، لذلك فإن التحضيض هو طلب فيه شدة وغلظة ، وطلب تحقيق الفعل هو الغرض الاساسي للتحضيض ، وقد جاء الفعل ظاهراً ومضمراً يحتاج إلى تقدير ، لكنه فعل قولي ، ويحتاج إلى إنجاز واقعي وسلوكي ، وهذا يقع على المتلقي الذي ينتظر منه الإستجابة وتنفيذ المطلوب وبذلك يتحقق الإنجاز .

المبحث الثالث: الحجاج النحوي

ولد الحجاج في كنف التداولية ، على الرغم من أن أصوله فلسفية تعود إلى أرسطو وأفلاطون ^(٥٧) ويعرف الحجاج بأنه : " نظرية لسانية تهتم بالوسائل اللغوية وبإمكانات اللغات الطبيعية التي يتوفر عليها المتكلم ، وذلك بقصد توجيه خطابه وجهة ما ، تمكنه من تحقيق بعض الأهداف الحجاجية ، ثم إنها تتطلق من الفكرة الشائعة التي مؤداها : أننا نتكلم عامة بقصد التأثير" ^(٥٨) ، بمعنى آخر هو خطاب موجه إلى متلق بقصد التأثير فيه لتغيير رأيه أو سلوكه أو تثبيت موقفه إزاء الناس والاشياء ، والخطاب

يجمع بين الإمكانيات اللغوية والإسلوبية وبين الجانب العقلي والنفسي والعاطفي . لذلك فإن الحجاج يعتمد على البلاغة ، ويندمج معها ؛ لأن " الفعالية الحجاجية باعتبارها فعالية خطابية لا تظهر وتتجسم لغويا إلا بمهارات اسلوبية وتأثيرات بلاغية .. فالأساليب ومهارات البيان والتبيين تقوي الحجج وتزيد من فعاليتها ، أي تعمل لمصلحة التأثير والاقناع ، لذلك يمكن النظر إليها كظواهر أدبية وخطابية قائمة الذات ، كما يمكن النظر إليها في علاقتها بأدوارها الحجاجية وقيمتها الإقناعية"^(٥٩) . ويتميز الخطاب الحجاجي في استعمال التقنيات الحجاجية لأجل تسليم المخاطب بالحجج والادلة التي تعرض من المرسل والاذعان لما ورد في رسالته ، وعدم امكانية نقض أو دحض تلك الحجج.^(٦٠) لذلك تتركز الوظيفة الاولى للحجاج في " خدمة التوجيه الحجاجي للملفوظات "^(٦١) أما الحجاج النحوي فيعرف بأنه " ما تصح به مصطلحات النحو وأحكامه وقواعده في الوجب والجواز والإمتناع"^(٦٢) . ويبرز الحجاج النحوي في ركني القاعدة النحوية السماع والقياس ، وفي العلة والاجماع ، وفي الاستدراك والإعتراض وتنقيح النص النحوي ، وفي الشروح^(٦٣) .

لقد تنوعت أنواع الحجاج تبعاً لرؤى كل باحث وآليات اشتغاله ؛ فمنهم من تنوع الحجاج لديه على وفق منهجه التحليلي فيرى أن الحجاج أنواع منها : الحجاج الموجب والحجاج السالب والحجاج البرهاني الذي يقسم بدوره على الصريح والمضمر والمتساند والمقيد والمتعاقد المهمل والمتعاقد المقيد ، ومنهم من صنف الحجاج على : الحجاج التجريدي ، والحجاج التوجيهي والحجاج التقويمي^(٦٤) ، ومنهم من صنف الحجاج على : الحجاج التفسيري ، والحجاج الاستقرائي ، والحجاج الاستنتاجي^(٦٥) ورأينا أن التصنيف الاخير هو أقرب إلى ما جاء في (كتاب معاني الحروف) لذلك نحاول استقراء النماذج على الانواع المذكورة آنفاً:

١- الحجاج التفسيري:

يقوم الحجاج التفسيري على شرح القاعدة النحوية وتوضيحها وايجاد المسوغات الممكنة لهذه القاعدة ، والحجج التي اعتمدت في تأسيسها ، ويستعمل اسلوبي التعليل والتفسير لشرح الظواهر النحوية^(٦٦) ، واستطاع الرماني (ت ٣٨٤هـ) توظيف الحجاج التفسيري في كتابه ، كما في قوله في حرف السين: "من الحروف الهوامل ؛ لأنها قد صيغت مع ما دخلت عليه حتى صارت كأحد أجزائه ، ولو لا ذلك لوجب أن تعمل ؛ لأنها مختصة بالفعل ، ومعناها التنفيس ، وذلك قولك : سأخرج وسأذهب ، فهي عدة وتنفيس كما قال سيوبه ، وإذا دخلت على الفعل أخصته للاستقبال بعد أن كان محتملاً الزمانين ، فهي في الأفعال بمنزلة لام المعرفة للأسماء"^(٦٧) يظهر الحجاج التفسيري في المثال المتقدم في تعريف حرف (السين) وتبيان مفهومه ، وتوضيح عمله واختصاصه ، ثم عمل على تفكيك معانيه ، في أن معناه التنفيس وعمله في دلالاته على الاستقبال ، وقد مثل لما يقول (سأخرج وسأذهب) وشرح (حتى صارت

كأحد اجزائه) وفسر (ولولا ذلك لوجب أن تعمل ، لانها مختصة بالفعل) وعلل (اذا دخلت على الفعل أخلصته للاستقبال بعد أن كان محتملاً الزمانين).

وفي قوله في الفرق بين إن وأن يظهر الحجاج التفسيري واضحاً ، إذ يقول : " اعلم أن مواضع إن مخالفة لمواضع أن ، فلإن المكسورة ثلاثة مواضع :

الابتداء ، والحكاية بعد القول ، ودخول اللام في الخبر ...وإما المفتوحة : فهي مع ما بعدها بمنزلة المصدر ، ولا بد من أن يعمل فيها ما يعمل في الاسماء ، نحو : يسرني أنك خارج ، كأنك قلت : يسرني خروجك ، فموضع أن هاهنا رفع ؛ لأنها بمعنى المصدر يرتفع كما يرتفع المصدر وتقول : أكره أنك مقيم فيكون موضعها نصباً . كأنك قلت : أكره اقامتك وتقول : من لي بأنك راحل ، فيكون موضعها خفضاً كالمصدر الذي وقعت موقعه .

فالمفتوحة ابداً بمعنى المصدر ، والمكسورة بمعنى الاستئناف وما جرى مجراه ، لأن الحكاية بعد القول تجري مجرى الاستئناف" (٦٨) قام واضع الكتاب بعقد موازنة نحوية بين حرفين (إن) المكسورة الهمزة و(أن) المفتوحة الهمزة ، فقد وضع مواضع الاولى وشرح كل موضع مع التمثيل لها بالشواهد ، وبين موضع الشاهد فيها ، ثم تناول الثانية بالتعريف ومواضع عملها والشواهد على ذلك ووضح موضع كل شاهد وموقعه الاعرابي . ثم خلص إلى النتيجة النهائية بين هذه المقارنة إلى أن المكسورة الهمزة تأتي بمعنى الاستئناف والمفتوحة الهمزة تأتي بمعنى المصدر.

٢- الحجاج الاستقرائي:

يعد الاستقراء من العمليات الإحصائية التي تستعمل للوصول إلى حكم قطعي أو حقيقة عامة ، من هنا جاء الحجاج الاستقرائي منسجماً مع الاستقراء الاحصائي ، الذي يعنى بدراسة كل الظواهر والحقائق الجزئية وصولاً إلى الحقائق العامة والكلية ، أي أن الانطلاق يكون من الجزئيات إلى الكليات (٦٩) واستعمل الرماني (ت ٣٨٤هـ) هذا الحجاج ليستثمره في بناء القاعدة النحوية أو الحكم النحوي ، فهو يقول في (مذ) : " وهي على ضربين: أحدهما أن تكون اسماً ، فإن كانت حرفاً جرت ما بعدها ، وإذا كانت اسماً ارتفع ما بعدها ، والاختيار أن ترفع بعدها ما مضى ، وأن تجر ، أنت فيه ، وذلك نحو قولك : ما رأيته مذ يومان . والتقدير : بيني وبين لقائه يومان ، وقيل التقدير : مدة فراقه يومان وتقول : ما رأيته مذ عامنا ، حرف بمنزلة وهي في الزمان بمنزله في المكان ...والاصل في مذ منذ ، يدلك على ذلك أنك لو سميت بمذ وصغرته لقلت : منذ لأن التصغير يرد الاشياء في غالب الامر إلى أصولها" (٧٠)

يظهر الحجاج الاستقرائي واضحاً في الشاهد المتقدم عن طريق تقديمه حقائق عن المواضع النحوية التي ترد فيها ؛ ف (مذ) تأتي اسماً فترفع ما بعدها ، وتأتي حرفاً فتجر ما بعدها ، ثم فصل القول

في الشواهد وموضع الشاهد فيها ، وتقدير الجملة على ما شرح سابقاً ، ثم خلص إلى تأسيس قاعدة (لغوية - صرفية) تتمثل في تصغير (مذ) فيظهر الاصل اللغوي لها وهو (منذ) ؛ وبالنتيجة ينتهي إلى حقيقة الكلمة واصلها ، ولكن القاعدة النهائية التي خرج بها جاءت منفصلة كلياً عن الجزئيات التي تحدث عنها وفصل فيها .

ويقول الرماني في (إذا) : " وهي من الحروف التي تعمل مرة ولا تعمل أخرى ، وعملها النصب في الفعل خاصة ، وهي جواب من قال: سأفعل ، ولها ثلاثة احكام : أن تقع مبتدأ ، فهذه عاملة ... والثاني : أن تقع بين الشئيين لا يستغني أحدهما عن الآخر ، فهذه لا تعمل شيئاً ... والثالث : أن تكون مخيراً في الاعمال والاهمال ، وذلك إذا دخلت عليها الفاء أو الواو ... وهي في عوامل الافعال بمنزلة أرى في عوامل الاسماء إلا أن أرى إذا تواسطت جاز الغاؤها واعمالها ، وإذا في التوسط ملغاة لا غير ، لأن عوامل الافعال أضعف من عوامل الأسماء " (٧١)

يبدأ الشاهد بتعريف ل(إذا) وعملها وموضعها الاعرابية ؛ فهي عاملة في موضع ، وغير عاملة في موضع آخر ، وفي موضع ثالث يصبح المتلقي مخيراً بين العمل والاهمال ، ويرى أنها تعمل عندما تقع مبتدأ وتهمل عندما تدخل عليها الفاء أو الواو ، ويخير في العمل والاهمال عند ما تتوسط بين الاسم والفعل ، لذلك انتهى إليها لا تعمل في الافعال لأن عوامل الافعال أضعف من عوامل الاسماء . وهي القاعدة النحوية التي استقرأها من الجزئيات التي تناولها بالتعريف والشرح والتفصيل ل(إذا) .

٣-الحجاج الاستنتاجي:

الاستنتاج يعاكس ويقابل الاستقراء ، وهو عملية الانتقال من القاعدة الكبرى إلى الصغرى ، أو الانتقال من العام إلى الخاص ، ويمثل الحجاج الاستنتاجي جمع واستنباط الافكار النحوية العامة وصولاً إلى النتائج الخالصة لهذه القواعد (٧٢) وحاول الرماني الافادة من الحجاج الاستنتاجي في ذكر القاعدة العامة ، ثم يذكر الشاذ لهذه القاعدة ، ثم يذكر النتائج الخالصة للقاعدة والشاذ ، كما في قوله في (أو) : " ولا يجوز أن يقع (أو) مع الأفعال التي تقتضي فاعلين ، ولا مع الأسماء التي على هذه الصفة ولا يجوز أن تقول : تخاصم زيد أو عمرو ، ولا جلست بين زيد أو عمرو ، وكذلك ما جرى هذه المجرى .

فأما قول الشاعر :

فكان سيان ألا يسرحوا نعماً أو يسرحو بها واغبرت السّوح

فإنما سوغ ذلك أنه وجدهم يقولون : جالس الحسن أو ابن سيرين على معنى الاباحة ، وهو كقولك : جالس الحسن وابن سيرين ، فاستعمل ذلك هذا التقدير ، ولا يجوز مثله في الكلام (٧٣) .

يتجسد في المثال السابق المواضع التي لا يجوز فيها أن تقع (أو) تلك المواضع مكوناً قاعدة نحوية ، تتمثل بأنها لا تأتي مع الافعال التي ترفع فاعلين ولا تأتي بين اسمين ، لكن هذه القاعدة يشذ

عنها بعض أبيات من الشعر العربي من قبيل الإباحة . أي أنه ذكر القاعدة النحوية العامة ثم ذكر الشاذ وهو الأخص ، ومن ثم فإنه استنبط الأخص من الأعم .

ويقول الرماني في موضع آخر في الواو : " من الحروف الهوامل ؛ لأنها تدخل على الاسم والفعل جميعاً ، ولا تختص بأحدهما ، فافتضى ذلك ألا تعمل شيئاً ؛ لأنها ليست بالفعل في الاسم أحقُّ منها بالعمل في الفعل ، ولها معان :

منها أن تكون عاطفة جامعة ، كقولك : قام زيد وعمر . يحتمل أن يقوم كل واحد منهما قبل صاحبه ، ويحتمل أن يقوما معاً في وقت واحد ، ... وذهب قطرب ، وعلي بن عيسى الربيعي ، إلى أنه يجوز أن يكون مرتبة ... ويجوز أن تكون جامعة غير عاطفة ، وذلك نحو قولك : استوى الماء والخشبة ، أي مع الخشبة ، فحذفت مع ، وجيء وبالواو فأوصلت الفعل إلى ما بعدها ، وهو الذي يسمى المفعول معه ... " (٧٤)

يظهر جلياً الحجاج الاستنتاجي في الشاهد المتقدم ، إذ عرف حرف الواو ، وموضع دخوله في الجملة ، واختصاصه وعمله ، ومعانيه التي يرد فيها ، فيكون حرف عطف ، ويكون جامعة غير عاطفة . وقد مثل لكل موضع بشاهد نحوي مع بيان موضع الشاهد وشرحه وتأويله أو تقديره . لذا فإن الرماني قد انتقل من القاعدة النحوية العامة لحرف (الواو) إلى الجزئيات الخاصة به ثم النتيجة التي خلص إليها . نخلص مما سبق إلى أن الحجاج النحوي فعالية تستند إلى أدلة وبراهين من أجل القيام بتأسيس القواعد النحوية العامة ، والجزئيات الخاصة والشذوذ وبكل إجراءاته وشواهد حتى أصبح قاعدة فرعية للقاعدة العامة . والحجاج على ثلاثة أنواع ، وقد حاول الرماني استثماره ليشرح ويستقرئ ويستنبط القواعد والأصول النحوية.

الخاتمة

ان هذا البحث (جهود الرماني التداولية في كتابه (معاني الحروف) يقدم رؤية عن بعض العناصر التداولية التي استعملها الرماني في كتابه (معاني الحروف) ، وكانت أهم النتائج التي توصل إليها البحث تتدرج كالآتي :

- تتسجم التداولية مع النحو في تحقيق الافادة من الخطاب وفي تحقيق التواصل الابلاغي بين الباحث والمتلقي .
- يلتقي مبدأ الإفادة مع مراعاة الغرض في مقصدية الباحث وحصول الفائدة لدى المتلقي بتحقيق العملية الإبلاغية للرسالة.

- تتمظهر ظواهر عدة في تحقيق الافادة ، تتمثل في الافادة والغرض ويظهر في الافادة التعريف والتكثير والنفي والاثبات في كتاب (معاني الحروف) .
- تظهر اليات التعريف واضحة في كتاب (معاني الحروف) متمثلا بأل التعريف ، أما التكثير فلا أداة له ، فإنه لم يتناوله الرماني بالدراسة ، وهذا ما ينطبق على ظاهرتي النفي والاثبات ، فأن النفي ظهر بالدراسة بأدوات مختلفة مثل : ما ، لا ، ليس ، لن وغيرها ، ولم يظهر الإثبات لدى الرماني لأنه لا يحتاج الى أدوات .
- يتجلى الامر والنهي والاستفهام والتمني والعرض والتحضيض بوصفها ظواهر مجسدة للأفعال اللغوية ، وقد جاءت هذه الأفعال بحروف تضمنت معنى الطلب والانجاز .
- جاء الحجاج النحوي على ثلاثة أنواع ، وهي : الحجاج التفسيري والحجاج الإستقرائي والحجاج الإستنتاجي ، ويعد الحجاج التفسيري والإستنتاجي الأكثر ورودا في كتاب (معاني الحروف) ، أما الحجاج الإستقرائي فجاء قليلا قياسا بالنوعين الاوليين.
- ظهر الحجاج الاستقرائي في الشواهد النحوية ، إذ عن طريقها ينتقل من الجزء الى الكل ، ومن الخاص الى العام .
- اعتمد الحجاج التفسيري على كل الاجراءات التفسيرية من تعريف وتفكيك وشرح وتفصيل ووصف وترتيب ومقارنة .
- ظهرت القاعدة الشاذة أكثر ما ظهرت في الحجاج الاستنتاجي ، اذ يذكر القاعدة العامة للأداة ويشرح ويفصل في كل الظواهر المتعلقة بها ثم يذكر القاعدة الفرعية أو الشواهد التي وردت فيها الاداة شاذة في موضعها ، وبذلك حقق عملية الانتقال من العام الى الخاص .

المصادر والمراجع

- (١) ابو علي الفارسي ، حياته ومكانته بين أئمة التفسير العربية واثاره في القراءات والنحو- د. عبد الفتاح اسماعيل شلبي ، ط٣، دار المطبوعات الحديثة ، جدة ، ١٩٨٩.
- (٢) الاتقان في علوم القرآن ، جلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ) ، تح : محمد ابو الفضل ابراهيم ، المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت / ٢٠٠٨ م .

- (٣) الاستدلال الحجاجي التداولي وآليات اشتغاله ، د.رضوان الرقبي ، مجلة عالم الفكر ، ع ٢ / مج ٤٠ ، اكتوبر ، ديسمبر ، الكويت ، ٢٠١١ م .
- (٤) اعتراضات الرماني على الكوفيين في كتابه معاني الحروف ، د . ناصر عبد الاله دوش ، مجلة كلية الفقه ، العدد ١٧ ، ٢٠١٣ م .
- (٥) انساق التداولية التعبيري ، دراسة في نظم الاتصال الادبي ، الف ليلة وليلة نموذجا تطبيقيا ، د. فائز الشرع ، ط ١ ، دار الشؤون الثقافية العامة بغداد ، ٢٠٠٩ م .
- (٦) بلاغة الخطاب وعلم النص ، د. صلاح فضل ، سلسلة عالم المعرفة ١٦٤٤ الكويت .
- (٧) التداولية النشأة والمفهوم ، مؤيد عبيد مجلة الافلام ، ع ٥ ايلول / تشرين الاول ، دار الشؤون الثقافية العامة بغداد ، ٢٠٠٨ م .
- (٨) التداولية عند العماء العرب ، دراسة تداولية لظاهرة "الافعال الكلامية " في التراث اللساني العربي ، د. مسعود صحراوي ، ط ١ ، دار الطليعة للطباعة والنشر بيروت .
- (٩) التداولية والحجاج / مداخل ونصوص ، صابر الحباشة ، ط ١ ، صفحات للدراسات والنشر ، سورية ، دمشق ، ٢٠٠٨ م .
- (١٠) الحجاج في الدرس النحوي ، د. حسن خميس الملح ، مجلة عالم الفكر ع ٢ ، مج ٤٠ ، اكتوبر ، ديسمبر ، الكويت ، ٢٠١١ م .
- (١١) شرح ابن عقيل على الفية ابن مالك ، بهاء الدين عبد الله بن عقيل لعقيلي الهمداني المصري ، تح: محمد محي الدين عبد الحميد / دار الطلائع للنشر والتوزيع والتصدير - القاهرة - ٢٠٠٩ م .
- (١٢) (الصاحبي في فقه اللغة ، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت٣٩٥هـ) تح : السيد أحمد صقر / دار احياء التراث العربي ، القاهرة .
- (١٣) علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق ، دراسة تطبيقية على السور المكية ، د. صبحي ابراهيم الفقي ، ط ١ ، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع القاهرة ، ٢٠٠٠ م .
- (١٤) في التداولية ، اشكالية المصطلح بين المفهوم والترجمة والتعريب ، د. عيد بلبع - مجلة الافلام ، ع ٥ ، ايلول / تشرين الاول ، دار الشؤون الثقافية العامة بغداد ، ٢٠٠٨ م .
- (١٥) كتاب التعريفات ، السيد الشريف علي بن محمد الجرجاني ، ط ١ ، دار احياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ٢٠٠٣ م .
- (١٦) كتاب معاني الحروف لابي الحسن علي بن عيسى الرماني النحوي (٢٩٦ - ٣٨٤هـ) .
- (١٧) لغة شعر ديوان الهذليين ، علي كاظم محمد علي المصلاوي ، رسالة ماجستير ، كلية الاداب ، جامعة الكوفة ، ١٩٩٩ م .
- (١٨) مدخل إلى الحجاج ، أفلاطون وارسطو وشايمير بيرلمان ، د. محمد الولي مجلة عالم الفكر ، ع ٢ ، فج ٤٠ ، اكتوبر ، ديسمبر ، الكويت ، ٢٠١١ م .

- ١٩) مدخل إلى علم النص ، زتسيسلاف واورزيناك ، ترجمه وعلق عليه : أ.د. سعيد حسن بحيري ، ط٢ ، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع القاهرة ، ٢٠١٠م .
- ٢٠) مفتاح العلوم ، يوسف بن محمد بن علي السكاكي ت (٦٢٦هـ) ، تح : عبد الحميد هنداي ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ٢٠٠٠م .
- ٢١) المقاربة التداولية ، فرانسواز أرمينكو ، تر: د. سعيد علوش ، مركز الانماء القومي .
- ٢٢) اللسان والميزان أو التكوثر العقلي ، د طه عبد الرحمن ، ط١ ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، الدار البيضاء ، ١٩٩٨م .
- ٢٣) النحو الوافي ، عباس حسن ، ط١٢ ، دار المعارف ، مصر .
- البحوث المنشورة على الأنترنت:
- ١) : الحجاج في الفلسفة وفي تدريسها ، حميد اعبيدة ، مجلة فكر ونقد، ع(٣١)، (١١) سبتمبر ٢٠٠٠. وموقعه على الانترنت: www.aljabriabed.net/n39-08abida.htm
- ٢) الحجاج وأنواعه ، وموقعه على الأنترنت: فلسفتنا.

الهوامش

- ١) ينظر ابو علي الفارسي ، حياته ومكانته بين أئمة التفسير العربية واثاره في القراءات والنحو- د. عبد الفتاح اسماعيل شلبي ، ط٣ ، دار المطبوعات الحديثة ، جدة ، ١٩٨٩ ، ص ٥٩٣ .
- ٢) ينظر: كتاب معاني الحروف لابي الحسن علي بن عيسى الرماني النحوي (٢٩٦-٣٨٤هـ) ٣٦-٣٧
- ٣) كتاب معاني الحروف ١٨٩ .
- ٤) كتاب معاني الحروف ١٨٧ .
- ٥) المصدر نفسه ٩٠ .
- ٦) كتاب معاني الحروف ١٧٣ .
- ٧) ينظر المصدر نفسه ٦٠ .
- ٨) ينظر : معاني الحروف ١٥٥ وما بعدها
- ٩) كتاب معاني الحروف وينظر : اعتراضات الرماني على الكوفيين في كتابه معاني الحروف ، د . ناصر عبد الاله دوش ، مجلة كلية الفقه ، العدد ١٧ ، ٢٠١٣م ، ١٧٢ .
- ١٠) اعتراضات الرماني على الكوفيين في كتابه معاني الحروف ، ٧ .
- ١١) كتاب معاني الحروف ٣٦ .
- ١٢) ينظر بلاغة الخطاب وعلم النص ، د. صلاح فضل ، سلسلة عالم المعرفة ١٦٤٤ الكويت ، ١٩٩٢ ، ٢٦ .
- ١٣) ينظر : التداولية عند العلماء العرب ، دراسة تداولية لظاهرة "الافعال الكلامية " في التراث اللساني العربي ، د. مسعود صحراوي ، ط١ ، دار الطليعة للطباعة والنشر بيروت ، ٢٠٠٥ ، ٢٦ .

- ١٤ (مدخل إلى علم النص ، زتسيسلاف واورزيناك ، ترجمة وعلق عليه : أ.د. سعيد حسن بحيري ، ط٢ ، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع القاهرة ، ٢٠١٠م ، ١٩
- ١٥ (ينظر : علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق ، دراسة تطبيقية على السور المكية ، د. صبحي ابراهيم الفقي ، ط١ ، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع القاهرة ، ٢٠٠٠م ، ٤٣/١ .
- ١٦ (كتاب التعريفات ، السيد الشريف علي بن محمد الجرجاني ، ط١ ، دار احياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ٢٠٠٣م ، ٦٣
- ١٧ (النحو الوافي ، عباس حسن ، ط١٢ ، دار المعارف ، مصر ، ١٥/١
- ١٨ (التداولية عند العلماء العرب ، دراسة تداولية لظاهرة "الافعال الكلامية" في التراث اللساني العربي ، ١٨٦
- ١٩ (ينظر : المصدر نفسه ١٨٦ .
- ٢٠ (كتاب التعريفات ١٧٩ .
- ٢١ (المصدر نفسه ١٩٨ .
- ٢٢ (ينظر : شرح ابن عقيل على الفية ابن مالك ، بهاء الدين عبد الله بن عقيل لعقيلي الهمداني المصري ، تر : محمد محي الدين عبد الحميد / دار الطلائع للنشر والتوزيع والتصدير - القاهرة - ٢٠٠٩م ، ٤٣/١ .
- ٢٣ (كتاب معاني الحروف ٧٩ .
- ٢٤ (النحو الوافي ١٩٣ .
- ٢٥ (النحو الوافي ١٩٤ .
- ٢٦ (كتاب معاني الحروف ٧٨-٧٩
- ٢٧ (ينظر التداولية عند العلماء العرب ، دراسة تداولية لظاهرة "الافعال الكلامية" في التراث اللساني العربي ، ١٩٤
- ٢٨ (كتاب التعريفات ١٩٧ .
- ٢٩ (المصدر نفسه ٩
- ٣٠ (كتاب أسرار البلاغة ، للشيخ الامام عبد القاهر الجرجاني ، تح: هـ. ريتز ، ط٢ ، وزارة المعارف ، استانبول ، ١٩٥٤م ، ٣٣٩، ٣٣٨ .
- ٣٠ (لغة شعر ديوان الهذليين ، علي كاظم محمد علي المصلاوي ، رسالة ماجستير ، كلية الاداب ، جامعة الكوفة ، ١٩٩٩م ، ٩٦
- ٣١ (كتاب معاني الحروف ٩٩
- ٣٢ (ينظر التداولية عند العلماء العرب ، دراسة تداولية لظاهرة "الافعال الكلامية" في التراث اللساني العربي ٢٠١، ٢٠٠
- ٣٣ (انسباق التداولية التعبيري ، دراسة في نظم الاتصال الادبي ، الف ليلة وليلة نموذجا تطبيقيا ، د. فائز الشرع ، ط١ ، دار الشؤون الثقافية العامة بغداد ، ٢٠٠٩م ، ٣٧
- ٣٤ (كتاب معاني الحروف ١٣٥ .
- ٣٥ (كتاب معاني الحروف ١٤٢ .
- ٣٦ (ينظر: في التداولية ، اشكالية المصطلح بين المفهوم والترجمة والتعريب ، د. عيد بلبع - مجلة الافلام ، ٥٤ ، ايلول / تشرين الاول ، دار الشؤون الثقافية العامة بغداد ، ٢٠٠٨ م ، ٢٦ وما بعدها

- ٣٧ (التداولية النشأة والمفهوم ، مؤيد عبيد مجلة الافلام ، ع ٥ ايلول / تشرين الاول ، دار الشؤون الثقافية العامة بغداد ، ٢٠٠٨ م ، ٤١)
- ٣٨ (المقاربة التداولية ، فرانسواز أرمينكو ، تر: د. سعيد علوش ، مركز الانماء القومي ، ٦٠)
- ٣٩ (التداولية ، النشأة والمفهوم ٤٢ .
- ٤٠ (ينظر المصدر نفسه ٤٣ .
- ٤١ (المقاربة التداولية ٦٠ .
- ٤٢ (التعريفات ٢٨ .
- ٤٣ (الصحابي في فقه اللغة ، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت٣٩٥هـ) تح : السيد أحمد صقر / دار احياء التراث العربي ، القاهرة ، ٢٩٨ .
- ٤٤ (كتاب حروف المعاني ٦٦)
- ٤٥ (التعريفات ١٩٩ .
- ٤٦ (ينظر : مفتاح العلوم ، يوسف بن محمد بن علي السكاكي ت (٦٢٦هـ) ، تح : عبد الحميد هندواي ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ٢٠٠٠ م ، ٤٢٩ .
- ٤٧ (كتاب حروف المعاني ٩٤ .
- ٤٨ (التعريفات ١٨ .
- ٤٩ (الاتقان في علوم القرآن ، جلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ) ، تح : محمد ابو الفضل ابراهيم ، المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت / ٢٠٠٨ م ، ٦٦٥)
- ٥٠ (كتاب معاني الحروف ١١٥ .
- ٥١ (ينظر : التعريفات ٥٣ .
- ٥٢ (كتاب معاني الحروف ١٢٦ .
- ٥٣ (ينظر : التداولية عند العلماء العرب ، دراسة تداولية لظاهرة " الافعال الكلامية " في التراث اللساني العربي ٢١٧ .
- ٥٤ (ينظر : المصدر نفسه ٢١٨ .
- ٥٥ (كتاب حروف المعاني ١٢٧ .
- ٥٦ (كتاب معاني الحروف ١٤٧ .
- ٥٧ (ينظر : مدخل إلى الحجاج ، أفلاطون وارسطو وشايمير بيرلمان ، د. محمد الولي مجلة عالم الفكر ، ٢٤ ، فج ٤٠ ، اكتوبر ، ديسمبر ، الكويت ، ٢٠١١ م ، ١٢)
- ٥٨ (التداولية والحجاج / مداخل ونصوص ، صابر الحباشة ، ط١ ، صنحات للدراسات والنشر ، سورية ، دمشق ، ٢٠٠٨ م ، ٥٠)
- ٥٩ (الاستدلال الحجاجي التداولي وآليات اشتغاله ، د.رضوان الرقبي ، مجلة عالم الفكر ، ع ٢ / مج ٤٠ ، اكتوبر ، ديسمبر ، الكويت ، ٢٠١١ م ، ٦٩)
- ٦٠ (ينظر : التداولية والحجاج ، مدخل ونصوص ٤٧ ، ٤٨)
- ٦١ (المصدر نفسه ٤٩)

- ٦٢ (الحجاج في الدرس النحوي ، د. حسن خميس الملق ، مجلة عالم الفكر ع٢ ، مج ٤٠ ، اكتوبر ، ديسمبر ، الكويت ، ٢٠١١م ، ١٢٤
- ٦٣ (ينظر المصدر نفسه ١٢١
- ٦٤ (ينظر : اللسان والميزان أو التكوثر العقلي ، د طه عبد الرحمن ، ط١ ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، الدار البيضاء ، ١٩٩٨م ، ٢٢٦-٢٢٩
- ٦٥ (ينظر: الحجاج وأنواعه ، وموقعه على الأنترنت: فلسفتنا .
- ٦٦ (ينظر المصدر نفسه.
- ٦٧ (كتاب معاني الحروف ٥٢
- ٦٨ (المصدر نفسه ١٨٦-١٨٧
- ٦٩ (ينظر : الحجاج في الفلسفة وفي تدريسها ، حميد اعبيدة ، مجلة فكر ونقد ، ع٣١ ، (١١) سبتمبر ، ٢٠٠٠ ، ٣١ . وموقعه على الانترنت : [www.aljabriabed.net\n39-08abida.htm](http://www.aljabriabed.net/n39-08abida.htm)
- ٧٠ (كتاب معاني الحروف ١١٥-١١٦
- ٧١ (كتاب معاني الحروف ١٢٩-١٣٠
- ٧٢ (ينظر : الحجاج في الفلسفة وفي تدريسها ، ٣١ .
- ٧٣ (كتاب معاني الحروف ٨٨ .
- ٧٤ (المصدر نفسه ٦٨-٦٩ .

Rummani efforts (d. 384 AH) deliberative in the book (the meanings of the letters

O.M.D.Aaman Mahdi Mattar Royal
Kufa University - College of Education for Girls

Modern linguistic studies spawned a new trend in mean ways to use the language from among the purposes and contexts involved, and how to convert communicative message to turnkey actions of the recipient, and this Alttiaraday Baltdolah linked deliberative studies rhetorical and grammatical objective of rhetoric focused on matching speech case may be, and contribute to discourse in a strong Ablagah turnkey are included in the rhetorical methods, Kalastvham and Esperance and it's wishful thinking, and others. The goal as to who shall afflict interest the recipient .ulfaidh purpose is to absorb the meaning is achieved behaviorally or implied felt so Find deliberative be taught in a grammar book is (the meanings of the letters) of threw me (v 384 e.)

The results were as follows:

Consistent with the deliberative as to achieve benefit from speech and in achieving Alablaga communication between the researcher and the receiver.

Meet the principle of benefit, taking into account the purpose in Mqsidih researcher and interest for the recipient of the message reporting obligations to achieve the process.

Several phenomena expresses itself in achieving the benefit, it is the benefit and purpose, and appears in the testimony and saying that the indefinite definition, exile and proof in the book (the meanings of the letters.)

Mechanisms definition and clear appear in the book (the meanings of the letters) represented Pal definition, either saying that the indefinite no administration has therefore not covered Rummani (d. 384 AH) Baldarch, and this applies to the phenomena of exile and of proof, the afternoon to study different instruments such as: What, no, no, and others would not and did not show the proof Rummani (384 e) of the tools he needs to.

Reflected the commands and prohibitions and question and wishful thinking, presentation and Althouded phenomena embodied linguistic actions. These actions came in letters included a demand meaning and achievement

Grammar pilgrims came on three types, namely: interpretative pilgrims and pilgrims inductive and deductive pilgrims, and pilgrims is interpretative and deductive most flowers in the book (the meanings of the letters), either inductive pilgrims came a little of both types compared to the first two.

In the back of the pilgrims inductive evidence of grammatical, as part of which goes to all, and from the private to the public.

Pilgrims interpretative relied on each of the explanatory definition, dismantle and explain and detail and description, arrangement and compare procedures.

Al-Qaeda appeared more anomalies appeared in deductive pilgrims, Recalling the general rule of the tool and explains separated in all phenomena related to the then little sub-rule or evidence which the instrumen